الاصحّ وانما هو ضربٌ من التشبيه المؤكَّد وهو الذي حُذفت اداتهُ واضيف فيهِ المشبه به الى المشبه على حدّ لجُين المآء وما جرى مجراهُ . وهذا كثيرٌ مستفيضٌ في الاستعمال كقولك أَجلتُ الرأي وأجلتُ قِداح الرأي وانبتَّ شملهم وانبتَّ حبل شملهم وطويت الحديث وطويت بساط الحديث وأضرم الشرَّ بينهم واضرم نار الشرّ واستصبحتُ بعلم فلان واستصبحت بنبراس علمهِ الى ما اشبه ذلك

واعلم ان الاستعارة من ادقّ ابواب البيان مأخذاً واكثرها تفصيلاً بل لا يُبعِد كثيراً من قال هي البيان كلهُ . وللقوم في ضروبها ومناحيها وتحقيق انواعها ولاسيما الاستعارة التخييلية منها ما تَسدَر من دونهِ البصائر وتكبو في مجالهِ جياد الخواطر ولذلك وقفنا فيها عند التقسيم الذي مرّ بك ولعلهُ اقرب تناولاً واوضح سبيلاً فضلاً عما فيه من استيعاب ما لم يتعرضوا لهُ والله ملهم السداد (ستأتي البقية)

الهوآء الاصفر

انتشر هذا الوبآء المشؤوم في القطر على حين لم يمرّ طيفهُ ببال ولم يتمثل لهُ في صفحة الوهم خيال وعلى حين تيقُّظ الحكومة لاقامة امنع السدود في وجههِ وانفاق الاموال الكثيرة في سبيل توقيّهِ واذ البلاد تقوم وتقعد لما سطع فيها من الحريق الذي دمرّ ما يقرب من سبعين بلداً في شهر واحد وترك عشرات الالوف من اهلها على انقى من الراحة واذ الطاعون قد ضرب اطنابهُ في الثغر الاسكندري منذ اربع سنين وهو كالمريض لا يفتك فتكتهُ

فيموت بهِ من يموت ويسلم من يسلم ولا ينشط للرحيل عن البلاد فتعود النفوس الى صفوها وطُمأنينتها فكانهُ قد كُتب على هذه الديار ان تتوالى عليها الارزآء في هذه السنين الاخيرة فلا تكاد تنجو من نكبة او تتوقع الخروج من غمرة حتى تفاجئها اخرى بما ينسيها الاولى

لا جرم ان الطاعون لم يكن بالقياس الى ما ظهر من هول الهوآء الاصفر الاّ لعبة هازل او دُعابة مزّاح فان الذين ماتوا به في هذه السنين الاربع لم يزد بهم عدد الموتى عما كان عليهِ في السنين السالفة ولا كانوا اكثر من الذين يموتون بسائر الامراض بل لو أُحصي الذين ماتوا بالنزلة الوافدة مثلاً او باحدى الحمّيات لكانوا اكثر عدداً . ولذلك اختلف الاطبآء في حقيقتهِ فمنهم من ذهب الى انهُ هو الطاعون الهنديّ بعينهِ لكن جراثيمهُ وصلت الينا ضعيفة ومنهم من زعم انهُ مرضٌ وطنيّ يشبه الطاعون في بعض اعراضهِ وليس من الامراض الوبآئية ومنهم من ذهب الى غير ما ذكر وكلهُ مبنيٌّ على قلة فتك هذا الدآء وضعف انتشارهِ . فلما وفد الهوآء الاصفر كان اول ما فاجأ الناس منهُ خبر تسعين اصابة في يومٍ واحد في بلدة موشة من مديرية اسيوط وهي بلدةٌ صغيرة لا يزيد اهلها على ثمانية آلاف نفس ثم لم يلبث ان تتابعت حوادثهُ واسرع انتشارهُ حتى عمّ القطر باسرهِ وقد بلغ عدد المصابين بهِ من ١٥ يوليو وهو اول يوم ظهر فيهِ الى يوم كتابة هذه السطور ما يزيد على ثلاثين الف نفس مات نحو تسعة اعشارهم وبلغ عدد البلدان التي انتشر فيها ما يقرب من الف وتسع مئة بلد

اما سبب وصول هذا الدآء الى القطر فقد اختلفت فيهِ اقوال الرواة

فقيل ان بعض الحجاج استصحب معهُ زجاجةً من مآء زمزم احتال على تخليصها من محجر الطور فلما انتهى بها الى موشة فرَّقها على آبار البلدة ولذلك فشا الدآء فيها مرّةً واحدة . وقيل ان واحداً منهم ظهرت فيهِ اعراض الدآء بعد وصولهِ الى المحجر واجتهد سائر الحجاج في اخفآء امرهِ خوفاً من اطالة مدة الحجر عليهم فلما خرجوا من المحجر ووصلوا الى موشة لم يلبث الدآء ان ظهر في بعضهم ثم انتقلت عدواهُ الى غيرهم ولبث الامر مكتوماً الى ان تكاثر عدد الاصابات وبلغ ما ذُكر . وقيل بل الدآء نبت من تلك الناحية وانهُ ليس من الكولرة الآسَوية المنتشرة في الحجاز وانما هو مرضٌ وطنيٌّ نشأ في القطر على حدّ ما يحدث منهُ في الهند وبمثل سببهِ هناك . وذلك انهُ لقلّة مياه النيل في هذه السنة نضب اكثر الترع التي يستقي منها الاهالي ولم يبقَ الا مستنقعاتٌ قد أَسِن مآؤها وكانت تُقضَى فيها جميع حوائج الطهارة من الاغتسال وغيرهِ فضلاً عما يُلقى فيها من الاقذار والجثث حتى صارت مجمعاً للنتن والخبائث وتولدت فيها الديدان والحشرات والناس مع ذلك يشربون منها من غير تصفية ولا ترشيح ويتناولون منها حاجة طبخهم وعجينهم فلا يُستبعَد والحالة هذه ان تكون منبعثاً لكل دآءٍ دويّ ووبآءٍ قتّال

ومهما يكن من الامر فقد كان من السهل حصر الدآء في موضع ظهورهِ ولكن الذي حال دون ذلك وكان سبباً في انتشار هذا البلآء ان عُمَد البلاد الذين من وظيفتهم ايذان مصلحة الصحة بكل حادثٍ وبآئي او مرضٍ معدٍ يحدث في نواحيهم كتموا الاصابات الأُوَل فلم يُعلَم بها الا بعد ان بلغت من الكثرة مبلغاً اعياهم كتمانهُ وفي أضعاف ذلك كان بعض المصابين والذين

خالطوهم يتنقلون في البلاد وهم يحملون جراثيم العدوى فلم يُنتبَه لتدارك الامر حتى كان قد اتسع الخرق ولم يبقَ الى تداركهِ سبيل

وهنا لا بدّ لنا ان نثني الثنآء الجميل على مصلحة الصحة لما تبذل من الجهد والاهتمام في تعقب الدآء والوقوف في طريق انتشاره وهي وان لم تفلح في حصرهِ وقطع دابرهِ للسبب المتقدم وامثالهِ فلا يُنكَر انها قد خففت وطأتهُ الى آخر ما يستطاع في مثل الحالة الحاضرة . ولا يخفى ان طرق الوقاية من هذا المرض تنحصر في امرين احدهما منع انتقال عدواهُ بسببٍ عامّ من الاسباب الطبيعية واهمّ ما هنالك صيانة مآء النيل الذي هو المشرب العامّ لاهل القطر بمنع الاغتسال فيهِ وغسل ثياب المرضى والموتى وغير ذلك من مجالب الوبالة ثم ردم المستنقعات والآبار الموبوءة وتعهد الازقّة والمنازل القذرة بازالة الاوساخ والعفونات وكل ذلك قد قامت بهِ هذه المصلحة اتمّ قيام فوقت ارواح كثيرٍ من الالوف ومن تذكّر ما كان من امر هذا الوبآء سنة ١٨٨٣ حين كان يموت بالقاهرة وحدها ما ينيف على الفي نفس في اليوم علم مقدار النفع الذي حصل على يدها في هذه السنة . والامر الثاني منع العدوى من طريق المخالطة الشخصية وهو الامر الذي اعيا رجال الصحة ولم تجمع فيهِ نصائح الاطبآء والعارفين واليهِ ترجع جميع الاصابات التي حدثت في القطر الا ما ندر منها مما حصلت الاصابة فيهِ عن خطإٍ او غرَر . واكثر ما ترى ذلك في طبقة العوامّ من الامة لجهلهم بطبيعة المرض وقصور مداركهم عن فهم التقارير الطبية وكيفية انتقال العدوى بواسطة الجراثيم المرضية ولذلك ترى جمهورهم لا يصدّقون بالعدوى

ولا يرون موجباً للتوقي والحذر . وزد على ذلك ما تأصل في مخيلاتهم من الخرافات والاباطيل كالسحر والعين والحسد واعتقادهم ان الامراض انما تنشأ عن مثل هذه الاسباب فيعالجونها بالاحجبة والرُقَى والتنجيم والزار وما اشبه ذلك . وبقي هنالك امرٌ هو من اشدّ هذه الامور علاجاً واعظمها ضرراً الا وهو انهم يردّون كل واقعٍ الى القدر سواءٌ كان من الامور المفاجئة التي هي من الغيب المحض او من الامور المتوقَّعة التي قد عُلمت جهتها وامكن تحاميها ولذلك يصاب احدهم بالدآء فيجتمع حولهُ الاهل والجيران ولا سيما النسآء ويخدمونهُ في مرضهِ من غير تحرُّز ولا تجنب واذا تُوفي تزاحموا على توديعهِ والتزوُّد من معانقتهِ وتقبيلهِ وهم لا يعلمون ما تحمل ثيابهم وجلودهم من تلك المعانقة ولا ما يدخل افواههم من تلك القُبَل

ولا يخفى ان امثال هذه الامور لا حيلة فيها للحكومة ولا سبيل الى توقي اضرارها ما لم يكن كل انسانٍ فيها قيّماً على نفسهِ والا تعيَّن على مصلحة الصحة ان تجعل لكل فردٍ من ملايين الاهالي رقيباً يرافقهُ في قيامهِ ومنامهِ وطعامهِ وشرابهِ وسائر احوالهِ واعمالهِ . وانما تُتلافَى هذه المفاسد بنشر الحقائق العلمية وتنوير اذهان العامّة والضرب على ايدي المشعوذين والرقاة واصحاب الزار واشباههم ومنع كتب الخرافات والاضاليل ومواظبة الخطبآء على ارشاد البصائر الضالّة ومتابعة الجرائد نشر الفصول المشبعة في التنديد بهذه الاوهام والتنبيه على بطلانها وبيان ما يترتب عليها من الاضرار والموبقات فان هذا من اهمّ ما يتعين على الجرائد في مثل هذه البلاد

على ان وطأة الدآء قد خفّت في هذه الايام الاخيرة والحمد لله فتناقص

عدد الاصابات الى نحو النصف مما كان عليهِ والامل انهُ لا ينقضي هذا الشهر حتى يتقلص ظلهُ عن هذه النواحي بلطفهِ عز وجلّ ورحمتهِ انهُ تعالى ولي العباد وفي يدهِ مقاليد الامور

مدارس الرهبانيات في فرنسا

قُضي الامر وأُقفِلت مدارس الرهبان والراهبات في جميع البلاد الفرنسوية الا ما جرى منها على قوانين الحكومة واذعن لاوامرها . وهو امرٌ مهما كان فيهِ من فوت المنافع التي كانت البلاد تنالها على ايدي أولئك القوم ومن الجور على الابرياء منهم بالضرب على ايديهم لغير جريرة بل من المَغرَم على الحكومة نفسها باضطرارها الى تحمُّل كل ما كان على عواتقهم من اعباء التعليم فضلاً عن اسخاط حزبٍ كبير من رعاياها والتعرض لمقاومتهم فهو ولا شك دليلٌ على ان الشرّ الذي كانت تتوقعهُ من بعض أولئك الرهبان ـ ولا نسمي ذلك البعض لانهُ اشهر من ان يُذكَر ـ اعظم من الخير الذي فاتها منهم ومن الشر الذي تتوقعهُ بسببهم فهي ولا جرم قد اختارت اهون الضررين واجتزأت بأيسر الخطرين

ونحن هنا لا نتعرض لسرد تاريخ هذه المسئلة والبحث عن اسبابها ونتائجها ولا نضع نفسنا موضع الفاحص لاعمال تلك الحكومة للقضاء لها او عليها ولكن جل ما نقولهُ ان صاحب البيت ادرى بما فيهِ وان الامر الذي ما زالت تلك البلاد تتمخض بهِ منذ قيام الجمهورية الحالية بل منذ زمان الثورة المشهورة حتى انتهى الى ما ذُكر لا يمكن ان يُتّهم فاعلهُ